



الشيخ محمد مهدي الآصفي

بسم الله الرحمن الرحيم

مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات
الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

❊ ❊ ❊

نشر هذا البحث في كتاب (في رحاب عاشوراء) ونعيد نشره في سلسلة الثقافة الاسلامية تعميما للفائدة.

اسم الكتاب: .... من المنتصر في كربلاء؟
المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي
تاريخ الطبع: .... ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠م
الكمية .... ٣٠٠٠ نسخة
المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

من المنتصر في كربلاء؟

روى الشيخ الطوسي (رحمه الله) في الأمالي عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: «**لما قدم علي بن الحسين (عليه السلام) وقد قتل الحسين (عليه السلام) استقبله إبراهيم بن طلحة بن عبد الله، قال: يا علي بن الحسين من غلب؟**

فقال علي بن الحسين (عليه السلام) وهو يغطّي رأسه، وهو في المحمل: إذا أردت أن تعلم من غلب ودخل وقت الصلاة، فأذّن وأقم تعرف الغالب»[1].

هذا سؤال كان يردّده المحبّون للحسين (عليه السلام) بعد مصرعه.

ومن قبل مصرعه كان يشكّون، شكّاً قويّاً أن ينتصر الحسين (عليه السلام) على بني اُمية في هذه المعركة التي يُقدم عليها الحسين، ولذلك كانوا ينصحون الحسين (عليه السلام) ألاّ يخرج إلى العراق، ويحذّرونه من أن يغدر الناس به، كما غدر الناس بأبيه

١ـ أمالي الطوسي: ٢٩٠ ط. النجف.

هذا التساؤل بقرينة (المحمل) في الرواية أما أن يكون في الكوفة أو في الشام. والسؤال والجواب أقرب إلى أجواء الشام من الكوفة، والكل محتمل.

وأخيه (عليهما السلام) من قبل.

ويرى بعضهم أن بني اُمية كانوا يوحون إلى هؤلاء بتحذير الحسين (عليه السلام) من أن يخرج إلى العراق، لئلا يدخلوا في مواجهة مسلّحة مع الحسين (عليه السلام)، وإن هذا التحذير والنصح الذي تكرّر من العبادلة الثلاثة، ومن عبد الله بن جعفر ومحمد بن الحنفية واُم المؤمنين اُم سلمة وغيرهم كان بإيحاء منهم ليجنّبوا بني اُمية مواجهة مسلّحة مع الحسين (عليه السلام)، وليوفروا لهم الفرصة الكافية للتخلّص منه (عليه السلام) غيلة وغدراً.

ولا نجد نحن مبرراً لاتهام هؤلاء جميعاً بأنهم وقعوا في شراك مؤامرة اُموية في تثبيط الإمام (عليه السلام) عن الخروج إلى العراق، ولا نشك في نصح وصدق وعقل جملة منهم ـ على الأقل ـ وقد قال الحسين (عليه السلام) لعبد الله بن عباس لما نصحه بعدم الخروج إلى العراق: «**يابن عم إنّي لأعلم إنّك ناصح وعليّ شفيق**».

كما أن الذين كانوا يواجهون علي بن الحسين بعد منصرفه من كربلاء بمثل السؤال المقدّم (من الغالب يا علي بن الحسين؟)

لا نتهمهم بالتشمت بأهل البيت عليهم السلام، فقد كان الكثير منهم يحبّون الحسين عليه السلام ويودّون لو أنه عليه السلام لم يخرج إلى العراق، ولم يُصب بما أصاب، وكانوا يتوجّعون لما أصاب الحسين عليه السلام ولا يتشمتون، كما كانوا قبل ذلك ينصحون الحسين ألا يخرج إلى العراق، ولم يستدرجهم بنو أُمية في المكر بالحسين عليه السلام.

وكان هؤلاء يشكّون، أن يكون للحسين عليه السلام النصر والغلبة والفتح في هذه المعركة.

ولم يكن الحسين عليه السلام يشك قط أن النصر والغلبة والفتح له في هذه المعركة ولا يخالجه في ذلك شك.

وبين الرأيين بون شاسع. وفيما يلي نلقي ـ إن شاء الله ـ نظرة تحليلية في هذه المسألة.

لا ينال الفتح من تخلّف عن الحسين عليه السلام

روي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «**إنّ الحسين عليه السلام لما توجه إلى العراق أمر بقرطاس، وكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي إلى بني هاشم.**

أما بعد، فإنّه من لحق بي استشهد، ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام»[1].

وفي هذه الرسالة يقرر الإمام عليه السلام لبني هاشم أربع حقائق حتمية، لا يشك فيها وهي:

١ ـ إنّ من يخرج معه يستشهد.

٢ ـ وأن من لم يخرج معه لا يبلغ الفتح.

وهاتان القضيتان واضحتان صريحتان في أصل الرسالة.

٣ ـ والحقيقة الثالثة التي نستخرجها من ضمّ الأُولى إلى الثانية هي أن من يخرج مع الحسين عليه السلام يبلغ الفتح..

والمعادلة واضحة بين (الأُولى والثانية) من جانب وبين

١ـ الملهوف للسيد ابن طاووس: ٥٧.

(الثالثة) من جانب آخر فإنّ مفهوم المخالفة ـ في التفاهم العرفي ـ للجملة الثانية:

إن من يخرج مع الحسين عليه السلام ينال الفتح، وقد عرفنا في الجملة الأُولى أن من يخرج مع الحسين عليه السلام ينال الشهادة.

٤ ـ والحقيقة الرابعة، وهي التي نقصدها في هذا الحديث أنّ الشهادة تساوي الفتح في المنظور الحسيني، وان الشهادة تؤدي الى الفتح.

ماهو الفتح في المنظور الحضاري؟

وهذا هو الذي نريد أن نتحدّث عنه هنا.

إن الخلاف بين الحسين عليه السلام وبين أُولئك الذين كانوا ينصحونه بعدم الخروج إلى العراق، ومن توجّع لمصرعه عليه السلام فيما بعد، وتساءل متوجعاً، لا شامتاً: ماذا حقق الحسين عليه السلام بخروجه إلى العراق؟ ومن هو الغالب في هذه المعركة الخاسرة؟

أقول: إنّ الخلاف بين الحسين عليه السلام وهؤلاء خلاف في الرؤية، وفي مفهوم النصر والغلبة والفتح.

لقد كان هؤلاء يتصوّرون الفتح والنصر والغلبة فقط من

منظـور عـسكري، فـلا يـشكّون أن الحـسين عليه السلام يخـسر هـذه المعركة، فكانوا ينصحون الحسين عليه السلام بعدم الخروج.

وكان الحسين عليه السلام ينظر إلى (الفتح) و(النـصر) و(الغلبـة) مـن منظور حضاري تاريخي، فلا يشك أن الله تعالى سوف ينصره في هذه المعركة، ويفتح لـه ويحقق لـه الغلبة على بني أُمية، وتنتهـي المعركة لصالحه وخسارة معسكر بني أُمية.

الرؤية القرآنية للفتح والهزيمة

لقد انتهـت معركـة (أُحـد) بخـسارة المـسلمين، ونكـسة مُـرّة، لازلنا نتجرّع مرارتها حتى اليوم، وعادت قريش الى مكة منتصرة في حساباتها العـسكرية، قـد اسـتوفت ثأرهـا مـن المـسلمين عـن قتلاها في بدر، وعاد المـسلمون الـى المدينـة، مثخنـين بـالجراح، وعـاد المنـافقون ـ مـن جماعـة عبـد الله بـن أُبـي ـ يتـشمتون بالمسلمين.

ولكن آيات آل عمران ١٣٩ ـ ١٤٢، التـي نزلـت يومئـذ علـى المسلمين من بعد انتكاسة أُحد تقدّم للبشرية رؤية جديـدة تمامـاً عن النصر والهزيمة، تختلف اختلافاً كاملاً عما في أيـدي النـاس

من مفهوم النصر والهزيمة.

وفيما يلي أتلوا عليكم آيـات آل عمـران (١٣٩ ـ ١٤٢): ﴿وَلاَ تَهِنُـوا وَلاَ تَحْزَنُـوا وَأَنْـتُمُ الأَعْلَـوْنَ إِن كُنْـتُم مُـؤْمِنِينَ * إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُـدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللّـهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ * وَلِيُـمَحِّصَ اللّهُ الَّـذِينَ آمَنُـوا وَيَمْحَـقَ الْكَافِرِينَ * أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.

وإليك هذا الإيضاح حول هذه الآيات:

﴾﴿

حقائق خمسة في آية آل عمران

في هذه الآيات من آل عمران حقائق خمسة، نشرحها واحدة بعد أخرى باختصار:

الحقيقة الأولى:

يقرر القرآن حقيقة فريدة من نوعها في تاريخ الثقافة عندما يقرر للجماعة المسلمة التي أصابتها النكسة المرة في (أُحد): أنهم الأعلون **﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ﴾**، وبذلك فإنّ هذا (العلوّ) يستلزم أن يكون عدوهم الذي رجع الى مكة منتشيّاً بالنصر، هم (الساقطون) المهزومون في هذه المعركة، وأن هذه المعركة بكل مرارتها أفرزت: (عُلوّاً) و(سقوطاً). أما العلو فكان من نصيب الجماعة المسلمة، وأما السقوط فكان من نصيب مشركي قريش.

ولكن هذا العلو مشروط بالإيمان **﴿إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ﴾**.

العلاقة بين النصر والإيمان

وبين الإيمان والعلوّ علاقة وثيقة، ومعادلة حتمية بمعنى أن الإيمان يساوي العلوّ. وهذه الحقيقة من الحقائق الأساسية في

القرآن: **﴿إنّا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾**[1].

وهذا النصر في الحياة الدنيا وليس في الآخرة فقط، كما تصلح بذلك آية غافر. في ضوء هذه العلاقة بين الإيمان والنصر يقرر القرآن المعادلة التالية:

وضمن السنن الإلهية الحتمية التي لا تتبدل ولا تتغير كما تصرح بذلك آية سورة الروم.

﴿وكان حقّاً علينا نصر المؤمنين﴾[2].

﴿وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين﴾.

العلاقة بين الإيمان والابتلاء

ولكن بشرطين:

الشرط الأول: أن يجتاز الإيمان محنة الفتنة، ومن دون عبور هذه المحنة والفتنة، والثبات فيها لن يتحقق النصر، بل لم يكن أصحابه من المؤمنين حقاً.

تأمّلوا الآيات الأوائل من سورة العنكبوت: **﴿الم * أَحَسِبَ**

١ـ غافر: ٥١.
٢ـ الروم: ٤٧.

النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾[1].

١ـ إنّ الإيمان لابدّ أن يَعْبُرَ هذه الفتنة والمحنة، ويمتحن فيهما، فإذا صدق صاحبه نصره الله، وإذا تساقط في الفتنة والمحنة فلن ينصره الله.

وان فتنة المحنة مفرزة يفرز فيها الله الصادقين في إيمانهم عن الكاذبين وضعفاء الإيمان: ﴿**فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ**﴾ هذا أوّلاً.

والشرط الثاني: أن ينصروا الله تعالى فإذا نصر المؤمنون الله، وانتصروا لله نصرهم الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**﴾[2]. ﴿**وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ**﴾[3].

وبهذا الشرط وذاك: الإيمان يساوي النصر دائماً. وهذه من

١ـ العنكبوت: ١ـ٣.

٢ـ محمد: ٧.

٣ـ الحج: ٤٠.

سنن الله تعالى، ولا تتخلّف سنن الله.

وإذا أُصيبوا في موقع أو أكثر بنكسة موجعة، فليس ذلك بمعنى أن النصر قد أخطأهم وأصاب أعداءهم، وإنّما هو من القروح التي تصيبهم وتصيب أعداءهم على نحو سواء، في هذا المعترك، ومن مصاديق الفتنة التي لابد لهم منها، ويبقى الطرف المؤمن هو الفاتح والغالب والمنتصر دائماً، والطرف الآخر هو المهزوم المغلوب.

وهذه الحقيقة الأُولى في آية آل عمران ﴿**وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ**﴾.

الحقيقة الثانية:

ويترتب على هذه الحقيقة أن لا يضعف المسلمون، ولا يحزنوا ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا**﴾ والوهن: هو الضعف.

فلم يتخطاهم النصر والفتح في هذه المعركة، رغم كل ما أصابهم من قروح، فلا يصحّ ولا يجوز أن يهنوا (يضعفوا)، ولا يصح أن يحزنوا لما فاتهم من النصر، فإنّ النصر لم يتخطاهم، ولم يفتهم، وإنّما فاتتهم العافية والغنيمة.

وبين الأمرين فرق، فلا يجوز أن يهنوا ويحزنوا لما فاتهم من

العافية والغنيمة، إذا كان الله تعالى قد جعل الفتح والنصر والعلوّ في جانبهم، والسقوط في جانب اعدائهم، وإنّما الوهن والحزن لأعدائهم خاصّة دونهم.

وهذه الحقيقة الثانية في الآية الكريمة ﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا**﴾.

الحقيقة الثالثة:

إن ما أصابهم من القروح والآلام في هذه المعركة لم تخصّهم وحدهم، وإنّما عمّتهم وعمّت أعداءهم بطبيعة الحال، ولم يسلم عنها أعداؤهم البتّة، فقد رجعوا إلى مكة بالقتل والجرح وخسارة الأموال والأنفس ولا يتوقع أحداً من الحروب والقتال غير الطعون والقروح والجروح والقتل والأسر في كل من المعسكرين.

واختلاف حجم الخسارة في المعسكرين ليس هو الذي يقرّر الطرف المنتصر والطرف المهزوم، وإنّما الذي يقرر النصر والهزيمة هو الإيمان الصادق، والجحود والشرك فما أصابهم وما مسّهم من القروح فقد أصاب القوم أيضاً ﴿**إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ**

فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ﴾.

ولكن بفارق واحد بين القرح والقرح، وذلك هو الرجاء من الله، وانعدام الرجاء. فها أنتم وأولئك قد أصابتكم وأصابتهم القروح على نحو سواء، ولكنكم ترجون من الله من الفتح والنصر والثبات والتسديد والتوفيق ما لا يرجون، ذلك إنّ (الإيمان) يَشدّ حبلكم بحبل الله، فترجون الله في خضمّ هذه المعركة، و(الكفر والجحود) يفصلهم ويحجبهم عن الله، فلا يرجون من الله شيئاً: ﴿**إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ**﴾[1].

وهذه هي الحقيقة الثالثة في هذه الآيات.

الحقيقة الرابعة:

إنّ الله تعالى يتداول الأيام بين الناس؛ فتنتقل السلطة والقوة من ناس الى ناس، فتنتكس مرّة فئة، وتنتكس أُخرى فئة أُخرى، وهذا التداول للقوّة والسلطان ليس بمعنى النصر والهزيمة دائماً وبالضرورة. فقد يكون بمعنى النصر والهزيمة، وقد يكون بمعنى

١ـ النساء: ١٠٤.

الانتكاسة العسكرية في جانب، والفوز العسكري في جانب آخر، والانتكاسة والفوز العسكريان لا يقرران مصير الأُمم في التاريخ من حيث النصر والهزيمة.

وهذا التداول لا يجري في فراغ، وإنّما يجري وسط ساحة الصراع، ومن خلال القروح والآلام والبأساء والضرّاء، ومن خلال هذا التداول يحقّق الله أمرين خطيرين في التاريخ، لا يكونان لولا هذا التداول، وهما (التمحيص) و(المحق).

المحق هو السقوط والهلاك للكافرين، والتمحيص هو التهذيب والتشذيب والتصفية للمؤمنين.

والتمحيص في مقابل المحق، فإنّ المحق سقوط وهلاك، والتمحيص تأهيل للبقاء والمقاومة التاريخية وهذا التأهيل من خلال البأساء والضرّاء، وفي ظروف تداول السلطة. ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ**﴾.

والمؤمنون يُمحّصون في ظروف (التداول) من خلال البأساء والضرّاء التي تكتنف التداول عادة، كما يُصهر الذهب في درجات حرارية عالية، فينفرز عنه ما يشوبه من ذرات التراب، ويسيل الذهب على نحو خيط رفيع، فتكون منه السبائك الذهبية

والحُليّ.

وهذا التمحيص على نحوين:

على الخط الأُفقي وعلى الخط العمودي.

أما على **الخط الأفقي**: فإنّ ظروف التداول وما يكتنفه من البأساء والضرّاء تفصل العناصر الضعيفة من المؤمنين والمنافقين عن المؤمنين الصادقين الأقوياء... ومن هؤلاء الصادقين الأقوياء الصامدين يتخذ الله (الشهداء) والقيمين على مسيرة البشرية، ومنهم يتخذ الله الأئمة الصالحين الذين يحكمون الأرض.

وهذا الفرز على الخط الأُفقي داخل المجتمع، يتم في ظروف التداول والبأساء والضرّاء، ولولا ظروف التداول لا يتم هذا الفرز.

﴿**وَلِيَعْلَمَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ وَاللّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**﴾.

والله تعالى يعلم الذين آمنوا حقاً، ويميزهم عمّن دخلوا الإسلام نفاقاً، ولكن ليفصل هؤلاء عن أُولئك وليتم فرز العناصر الصالحة الصادقة عن غيرهم في وسط محنة البأساء والضرّاء.

والنوع الآخر من التمحيص، التمحيص على **الخط العمودي**

داخل النفوس، فإنّ في نفوسنا نحن المؤمنين أيضاً إيمان وريب وقوة وضعف، وعطاء وشُح، وإقبال وإعراض، وحقّ وباطل، وزهد وإقبال على الدنيا، وذكر وغفلة.

وظروف البأساء والضرّاء التي تكتنف التداول كما تفصل الصالحين عن غير الصالحين في المجتمع، كذلك تفصل نقاط الضعف في نفوسنا عن نقاط القوّة وتلغيها، وتطردها عن انفسنا، فتخلص أنفسنا عندئذ في ظروف المحنة من نقاط الضعف التي كانت تثقلنا في ظروف العافية. فيكون المؤمنون عندئذ من (المخلَصين)، بالفتح، أي الخالصين.

وهذا هو التمحيص داخل النفوس، وعلى الخط العمودي، والذي تشير إليه آية آل عمران ﴿**وَلِيُمَحِّصَ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾.

وهذه هي الحقيقة الرابعة.

الحقيقة الخامسة:

والحقيقة الخامسة في هذه الآية: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ**﴾.

بعد هذا التمحيص والتخليص والتنقيح والتصفية داخل النفوس، تخلص نفوس المؤمنين من نقاط الضعف، ومن الخبث الذي يحجبهم عن لقاء الله وعن الجنّة، فيصلحون لدخول الجنة: ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ الله...**﴾.

هذه هي الحقائق الخمسة في آيات آل عمران.

والذي نعرفه من خلال هذه الجولة في آيات آل عمران أن الرؤية القرآنية للنصر والهزيمة تختلف عن رؤية الناس.

وإنّ قريشاً كانت ترى أنها انتصرت في هذه المعركة، وأنهم قد هزموا المسلمين هزيمة مُرّة.

ولكن القرآن يُقرر لهم يومئذ، طبقاً لهذه الرؤية: إن ما حدث في ساحة (أُحد) لا تزيد على حالة (تداول الأيّام) وما يكتنفه من القروح والآلام والبأساء والضرّاء، وأما النصر والاستعلاء فهو للمؤمنين خاصة.

﴿**وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنْتُم مُؤْمِنِينَ**﴾.

وقد أثبتت الأيام والتاريخ إنّ الرؤية القرآنية للنصر والهزيمة هي الصحيحة، وإنّ ما عادت به قريش الى مكة لم تزد على نشوة وقتية كانوا يتصورونه نصراً.

هذه هي الرؤية القرآنية للنصر والهزيمة، وهي رؤية حضارية وثقافية جديدة على أفكار الناس وتصوراتهم.

وبهذا المقياس الجديد نستطيع أن نفهم التاريخ على غير ما يفهمه الناس.

إنّ الذين حضروا ساحة (اُحد) يومئذ لم يشكو أن المسلمين مهزومون، وأن قريش منتصره.

ولكن الذين يعيشون اليوم، وقد أخذ هذا الدين مشارق الأرض ومغاربها، وارتفعت كلمة التوحيد في كل بقاع الأرض، يعرفون جيداً أن الذين انتصروا في اُحد هم المسلمون والذين انهزموا هم المشركون من قريش.

وبهذه الرؤية القرآنية التاريخية حقق الله تعالى لعبده الحسين بن فاطمة (عليها السلام) كلّما كان يطلبه في هذه المعركة، ونصره.

والذين كانوا ينظرون إلى ساحة كربلاء يوم عاشوراء من خلال اليوم والساعة لم يشكّوا أن الحسين (عليه السلام) مغلوب على أمره وبنو اُمية غالبون.

ولكن من كان ينظر إلى تلك الساحة يومئذ بهذه الرؤية التاريخية البعيدة المدى لم يشك أن الحسين (عليه السلام) هو الفاتح في

هذه المعركة، وأن بني اُمية قد خسروا هذه المعركة خسارة كاملة.

فلنتأمل ماذا حقق الله تعالى لعبده الحسين (عليه السلام) من النصر في هذه المعركة.

لقد كان الحسين (عليه السلام) يطلب في هذه المعركة أمرين اثنين:

١ ـ تحرير إرادة الناس من سلطان بني اُمية، وهذه هي الغاية الحركية.

٢ ـ إلغاء شرعية الخلافة الاُموية، وهذه هي الغاية السياسية لحركة الحسين (عليه السلام) وقد حقّق الله تعالى له الفتح والنصر في هذه وتلك فلنتأمّل، ولنمعن النظر.

١ ـ تحرير إرادة الناس من سلطان بني أُمية

كانت هذه هي المهمة الأُولى أو النتيجة الأُولى لمصرع الحسين عليه السلام وأصحابه.

ورحم الله الشاعر العربي همام بن غالب الفرزدق يقول:

التقيت الحسين عليه السلام وهو مغادر الحجاز إلى العراق يوم التروية، فسلّمت عليه وحيّيته وقلت له:

بأبي أنت وأُمي يابن رسول الله ما أعجلك عن الحج.

فقال الإمام عليه السلام: **لو لم أعجل لأُخذت.**

ثم سألني عن خبر الناس في العراق.

فقلت: على الخبير سقطت، قلوب الناس معك، وسيوفهم مع بني أُمية، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء.

فقال الإمام عليه السلام: **صدقت ﴿لِلَّهِ الأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ﴾**[1].

وقد صدق الفرزدق، فإن السياسة الأُموية تمكّنت من تعطيل إرادة الناس، وشلّ عزيمتهم وحركتهم، وتمكنوا من إحداث هذا الانشطار الغريب في نفوس المسلمين، والذي يعبر عنه

١ـ الأخبار الطوال، للدينوري: ٢٤٥.

الفرزدق بهذا التعبير الدقيق (قلوبهم معك، وسيوفهم عليك).

ويريد الفرزدق بكلمة (قلوبهم معك) ولاؤهم وعقيدتهم وحبّهم، وقد كان العراق شيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، ووقفوا معه مواقفه كلها ضد خصومه في (الجمل) و(صفين) و(النهروان)، ولم يتمكن معاوية خلال حكمه أن ينفذ إلى قلوب الناس في العراق فينزع منها ولاء علي وذريته وحبّهم، ولكنّه تمكن أن ينتزع من أيديهم السيوف التي شهروها في وجهه بصفين وكلمة (السيف) في كلام الفرزدق كلمة رمزية، ترمز إلى الموقف السياسي والإرادة السياسية، ويتبعهما الموقف العسكري بطبيعة الحال.

لقد استطاع معاوية بما أُوتي من الدهاء والمكر أن يُرضخ العراق لإرادته، ويسلب الناس عزمهم وإرادتهم، ويعطّل بالكامل موقفهم السياسي تجاه مظالم بني أُمية ومفاسدهم، ويجعل منهم ناساً طيّعين، يطاوعون عمال بني أُمية في كل ما يريدون، لا يعترضون ولا يمتنعون، ثم يتبقى لهم حبّهم وبغضهم وإقبالهم وإدبارهم، ولم يكن لمعاوية في ذلك شأن.

وهذا الانشطار الذي أحدثه الحكم الأُموي في نفوس الناس كان أخطر ما نعرفه من الانشطارات النفسية في التاريخ، يعكسه الفرزدق للإمام عليه السلام في هذه الجملة الوجيزة.

وإذا فقد الناس إرادتهم وسط الصراع، فسوف يفقدون كل شيء، وقد عرف بنو أُمية هذه الحقيقة وقد أمعنوا في إذلال الناس ومارسوا في الناس صنوفاً من الإذلال لم يسبق له مثيل لا في تاريخ الإسلام، ولا الجاهلية.

حتى أن مسلم بن عقبة الذي عهد إليه يزيد احتلال المدينة عسكرياً أخذ من التابعين وأبناء الأصحاب عهداً بأنهم خِوَلٌ وعبيد ليزيد في مجزرة الحرّة المعروفة التي تمت على عهد يزيد، والتي استباح فيها يزيد مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله ثلاثة أيام وارتكب فيها الجيش الأُموي من الرزايا والمنكرات ما يندر نظيره في التاريخ.

ويُدخل الطاغية ابن مرجانة بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وأولاده عليهم السلام على هيئة الأسرى إلى جامع الكوفة، ويرقى المنبر ويشتم علياً والحسين عليهما السلام فلا يقوم له أحد غير عبد الله بن عفيف رحمه الله.

ويجلس ابن زياد في قصره ويحضر أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله على هيئة الأسرى، ويضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وينكث بقضيبه شفتي الحسين عليه السلام فلا ينكر عليه أحد غير زيد بن أرقم.

ويمارس حكّام بني أُمية ألواناً من الظلم والإفساد والتبذير في بيت المال، فلا ينكر عليهم أحد، و لا يخرج عليهم خارج، ولا يشهر أحد سيفاً في وجوههم، ولست اعلم ماذا أصاب الناس خلال هذه الفترة من حكم بني أُمية حتى فقدوا بهذه الصورة إرادتهم ووعيهم، وعادوا أدوات طيّعة بيد عمّال بني أُمية.

المشروع الأُموي في تعطيل الإرادة والموقف السياسي

ونعجب نحن عندما نقرأ تاريخ هذه الفترة فقد دخل بنو أُمية هذه المرحلة بمخطط سياسي وثقافي متكامل لغرض السيطرة السياسية والفكرية على الناس وتطويع الناس لإراداتهم، ولا يسعني الآن الدخول في تفاصيل هذا المخطط، ولكنّي اذكر الآن ثلاث نقاط عاجلة من هذا المخطط:

١ ـ التنظير العقائدي للرضوخ للظلم والفساد والكفّ عن الاعتراض على السلطان، لأنّ السلطان يمارس قضاء الله وقدره

على الأرض، والاعتراض على السلطان اعتراض على قضاء الله وقدره، وقد كان بنو أُمية يدافعون عن القدر، ويلاحقون مَن يخالفهم في الرأي.

٢ ـ التنظير الفقهي لتحريم المعارضة، وإدخال الخروج على الحاكم والمعارضة السياسية تحت طائلة الحرمة والحظر الشرعي.

٣ ـ سياسة الإرهاب والفتك والبطش بالمعارضة.

وليس بوسعنا التفصيل في هذه النقاط الثلاثة، ولكن ما لا يدرك كلّه، لا يترك كلّه، وسوف نوجز الحديث فى هذه النقاط الثلاثة:

أ. التنظير العقائدي (الفلسفي)

مارس بنو أُمية ظلماً وإفساداً واسعاً في المجتمع ونجحوا في إرضاخ الناس لقبول الظلم، والكفّ عن المعارضة. وكانوا يدعون إلى (القدرية)[1] أي: الإيمان بالحتمية التاريخية، وإنّ ما

١ـ تستعمل كلمة (القدر) بالمعنيين: حرية الإرادة، والحتمية والجبر، وهنا نقصد بهذه الكلمة المعنى الثاني.

يجري في المجتمع من خير وشر، إنّما يجري بقضاء وقدر حتميين من جانب الله، ولا سبيل إلى تغييره.

وقد عُرف بنو أُمية بذلك، وكانوا يفرضون على الناس هذه العقيدة فرضاً، ويعاقبون من يعارضها ويوجّهون بذلك ممارساتهم السياسية والاقتصادية في الافساد والبذخ.

وكان الحسن البصري يميل الى مخالفة بني أُمية في مسألة القدرية، ويرى أن الناس أحرار في تقرير مصيرهم، وليس عليهم قضاء وقدر حتم من جانب الله، وكان يجاهر برأيه فخوّفه بعضهم بالسلطان فكفّ من الإجهار برأيه.

روى ابن سعد في الطبقات عن أيوب، قال: نازلت الحسن في القدر غير مرّة، حتّى خوّفته من السلطان، فقال لا أعود[1].

والسلطان الذي كان يحكم المسلمين في عهد الحسن هو سلطان بني أُمية.

١ـ طبقات ابن سعد٧: ١٦٧.

ب. التنظير الفقهي للرضوخ للظالمين والهروب من المسؤولية:

شاعت في عصر بني اُمية الفتوى بوجوب الرضوخ للحاكم الظالم والمفسد، وحرمة الخروج ووجوب الانقياد له، مهما بلغ من الظلم والجور والإفساد اللهم إلاّ أن يروا الناس منه (كفراً بواحاً) فيصح عندئذ الخروج عليه، وروى الرواة في ذلك أحاديث عن رسول الله ﷺ. وقد دخلت جملة من هذه الروايات الصحاح.

كان عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص من أكثر أصحاب رسول الله ﷺ اهتماماً بتثبيت هذه الثقافة التي كان يسعى بنو اُمية لاشاعتها.

روى البخاري في الصحيح عن أيوب عن نافع، قال لما خلع أهل المدينة يزيد بن معاوية جمع ابن عمر(عبد الله) حشمه وولده، فقال إني سمعت النبي ﷺ يقول: «ينصب لكل غادر لواء يوم القيامة» وإنّا قد بايعنا هذا الرجل بيع الله ورسوله، وإني لا أعلم غدراً أعظم من أن يبايع رجل على بيع الله ورسوله، ثم ينصب له القتال. وإني لا أعلم أحداً خلعه ولا بايع في هذا الأمر

إلاّ كانت الفيصل بيني وبينه[١].

وروى مسلم في الصحيح عن زيد بن محمد بن نافع، قال: جاء عبد الله بن عمر إلى عبد الله بن مطيع حين كان من أمر الحرّة ما كان زمن يزيد بن معاوية، فقال: اطرحوا لأبي عبد الرحمن وسادة، فقال: إني لم آتك لأجلس، أتيتك لاُحدثك حديثاً: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع يداً من طاعة لقى الله عزّوجلّ يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية»[٢].

وليس في هذا الحديث أو ذاك، ما يقتضي التشكيك بإسناده إلى رسول الله ﷺ، وإنما الخلل في اجتهاد عبد الله بن عمر في تطبيق هذا الحديث أو ذاك على من نزع يداً من بيعة يزيد. فإن يزيد رجل فاسق، شارب للخمر قاتل للنفوس المحرّمة، منتهك لحرمات الله، ومثله لا يلي الخلافة، ولا تصح له بيعة، وحديث رسول الله ﷺ تختص بما إذا أصبحت البيعة لأحد، وصلح للبيعة واستمر فيه الصلاح.

١ـ صحيح البخاري٤: ١٨٨ ط. مصر سنة ١٢٨٦.
٢ـ صحيح مسلم٦: ٢٢ دار الفكر، بيروت.

وروى عبد الرحمن بن عبد ربّ الكعبة، قال: انتهيت إلى عبد الله بن عمرو بن العاص، وهو جالس في ظلّ الكعبة، فسمعته يقول: بينا نحن مع رسول الله ﷺ في سفر إذ نزل منزلاً، فمنّا من يضرب خباءه، ومنّا من هو في جشره[1]، ومنا من يتنصّل، إذ نادى مناديه: الصلاة جامعة، قال فاجتمعنا، قال، فقام رسول الله ﷺ فخطبنا، فقال: إنّه لم يكن نبي قبلي إلا دلّ اُمته على ما يعلمه خيراً لهم، ويُحذّرهم ما يعلمه شراً لهم، وان اُمتكم هذه جعلت عافيتها في أوّلها، وأن آخرها سيصيبهم بلاء شديد، واُمور تنكرونها، تجيء فتن، يرقق بعضها لبعض، تجيء الفتنة فيقول المؤمن هذه مهلكتي ثم تنكشف فيقول المؤمن هذه، ثم تنكشف. فمن سرّه منكم أن يزحزح عن النار، وأن يدخل الجنّة فلتدركه موتته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه، ومن بايع إماماً، فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر.

١ـ أي في رعيه.

قال: فأدخلت رأسي من بين الناس، فقلت: أنشدك بالله أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال: فأشار بيده إلى اُذنيه، فقال سمعته اُذناي ووعاه قلبي. فقلت: هذا ابن عمك ـ معاوية يعني ـ يأمرنا بأكل أموالنا بيننا بالباطل، وأن نقتل أنفسنا، وقد قال الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ**﴾ قال: فجمع يديه فوضعها على جبهته ثم نكس هنيئة، ثم رفع رأسه فقال: أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله عزّوجلّ[1].

وروى أحمد في (المسند) عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم خير من الماشي، والماشي خير من الساعي، ومن وجد ملجأً أو معاذاً فليعذ به[2].

وروى أحمد أيضاً في المسند عن أبي بكر عن رسول الله ﷺ: أنها ستكون فتن، فالماشي خير من الساعي إليها، والقاعد فيها خير من القائم فيها، والمضطجع فيها خير من القاعد. ألا فإذا

١ـ مسند أحمد بن حنبل ٢: ١٦١.

٢ـ مسند أحمد ٢: ٢٨٢.

نزلت، فمن كانت لـه غنم فليلحق بغنمه، ألا ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه، ألا ومن كانت له إبل فليلحق بإبله.

فقال رجل من القوم: يا نبي الله، جعلني الله فداك، أرأيت مـن ليست لـه غنم ولا أرض كيف يصنع؟

قال: فليأخذ سيفه ثم ليعمد به الى صخرة ثم ليدق على حـدّه بحجره ثم لينجّ إن استطاع[1].

هـذه هـي ثقافـة (الرضـوخ) و(الهـروب)، شـاعت فـي عـصر بني اُمية حتى أقحمت في حديث رسـول الله ﷺ، وكـان لخلفـاء بني اُمية وعمّـالهم دور كبيـر فـي اشاعتها والتـرويج لهـا، لـدعوة الناس إلى الرضوخ والطاعة والكف عن الاعتراض، أو الهـروب من ساحة المعارضة علـى أقـل التقـادير لتثبيـت أركـان حكمهـم وسلطانهم في المنطقة الإسلامية.

وقـد دخلـت هـذه الروايـات فـي المـدونات الحديثيـة حتـى الصحاح منها، وأدخلت هذه الفتاوى في المدونات الفقهية حتـى أصبحت جزءاً من الثقافة الحديثية والفقهية الإسلامية في العلاقة

١ـ مسند أحمد ٥: ٤٨٥.

بين الحاكم الظالم والفاسق والرعايا مع الأسـف، ويفتـي الفقهـاء إلى اليوم بحرمة الخروج على الحاكم الظالم، الفاسق، وإن أعلن الفسق والظلم وحرمة مخالفته في غير الحرام، وحرمـة مقاطعتـه، والتـشويش عليـه، وحرمـة إثـارة النـاس عليـه وإزعاجـه بـالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (المعلن).

ونحن لا نشك بأن هـذه الروايـات انتحلـت فـي الغالـب علـى رسول الله ﷺ، وأنها تعارض معارضة واضحة، محكمات كتـاب الله، وروح تعاليم هـذا الـدين فـي الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكر.

ولا يمكن أن يـدعو رسـول الله ﷺ المـسلمين إلـى الرضـوخ للحاكم الظـالم الـذي ينتهـك حرمـات الله، ولا يمكـن أن يـدعو المسلمين إلى الكف عن الأمـر بـالمعروف والنهـي عـن المنكـر، والهروب عن الفتن.

والـذي يتطـابق مـن حـديث رسـول الله ﷺ مـع القـرآن، هـو بعكس ذلك تماماً، وهـو عـدم الركـون إلـى الظـالمين ومقاومتـه ومواجهتـه وإزالتـه عـن مواقـع القـوة، والتـصدي للفتنـة بـالأمر

بالمعروف والنهي عن المنكر، وهذا هو الذي يلائم القرآن وروح هذا الدين.

ونحن لا نشك أن بني أُمية هم الذين انتحلوا هذه الروايات أو أوّلوها ووظّفوها لتثبيت أركان حكمهم وسلطانهم وأنهم وظّفوا بعض العلماء للتنظير لهذه الثقافة وإشاعتها مثل عبد الله بن عمر بن الخطاب وعبد الله بن عمرو بن العاص وأمثالهم.

إلاّ أن خروج الحسين(عليه السلام) على يزيد وهتافاته وصرخاته للمسلمين ومصرعه ومصرع الثلة الطاهرة من أصحابه كان له التأثير الكبير في إلغاء وإحباط هذه الثقافة.

خطب الحسين(عليه السلام) أصحاب الحرّ بن يزيد في منزل البيضة، فقال(عليه السلام): «**أيها الناس أنّ رسول الله ﷺ قال: من رأى سلطاناً جائراً مستحلاً لحرام الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يُغَيِّر عليه بفعل ولا قول كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله**»[1].

1ـ تاريخ الطبري ٤: ٣٠٠.

وخطب الناس في كربلاء، فقال(عليه السلام):

«**ألا ترون إلى الحقّ لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محقاً، فإني لا أرى الموت إلاّ سعادة والحياة مع الظالمين إلاّ برماً**»[1].

كان لصرخات الحسين وهتافاته في الحجاز والعراق ومصرعه في العراق الأثر الكبير في إلغاء ثقافة الرضوخ والهروب الأُموية.

ومن يطلع على الثقافة الفقهية والحركية في تاريخ الإسلام بعد موقعة الطف يعرف جيداً؛ أنّ الحسين(عليه السلام) تمكن من إلغاء هذه الثقافة، وكلّما تجدد من بعد مصرع الحسين(عليه السلام) من الحركات، ومنها وقعة (الحرّة) في مدينة رسول الله ﷺ يحمل آثار هذه الثقافة الحركية التي أحياها الحسين(عليه السلام) بمصرعه وهتافاته في المسلمين[2].

ورغم أن هذه النظرية الفقهية لا تزال قائمة في الفقه الرسمي، ولكنها فقدت قيمتها العلمية والدينية بعد ثورة الحسين(عليه السلام)

1ـ تاريخ الطبري ٤: ٣٠١.

2ـ راجع كتابنا حوار في التسامح والعنف: ١٠١ـ١١٢ ط. بيروت، لتلمس بوضوح تأثير هتافات الحسين(عليه السلام) ومصرعه ومصرع أصحابه في إلغاء هذه الثقافة.

وخروجه على يزيد ولم يعد لفتاوى وكلمات القاضي أبو بكر بن العربي المالكي[1] وأمثاله مثل محمد عزّت دروزة المعاصر وغيرهم دور وقيمة في الفقه السياسي في تاريخ الإسلام.

فقد أنهى الحسين عليه السلام هذه الأُطروحة الفقهية الأُموية وألغاها بمصرعه ودماء أهل بيته وأصحابه[2].

١ـ يقول القاضي أبو بكر بن العربي في كتابه (العواصم) ص٢٣٢: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستكون هنات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأُمة، وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان، فما خرج عليه أحد إلاّ بتأويل ولا قاتلوه إلاّ بما سمعوه من جدّه صلى الله عليه وآله وسلم.

وخطّأ ابن خلدون في المقدمة: (ص٢٥٤ ـ ٢٥٥) القاضي أبابكر ابن العربي المالكي في رأيه في الحسين عليه السلام إذ قال: إنّ الحسين قتل بسيف جده غفلة عن اشتراط الإمام العادل.

وقال الشوكاني: لقد أفرط بعض أهل العلم فحكموا بأنّ الحسين السبط(رضي الله عنه) باغ على الخمير السكير الهاتك لحرمة الشريعة المطهرة يزيد بن معاوية لعنهم الله فيا للعجب من مقالات يقشعر من سماعها كل جلمود، (نيل الأوطار٧: ١٤٧) راجع مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٨ ـ ١٠.

ومن المعاصرين، يقول محمد عزت دروزه في كتابه (تاريخ الجنس العربي)٨: ٣٨٢.

فقد كان (عمّال بني اُمية) يريدون أن يعافيهم الله من الابتلاء بقتاله فضلاً عن قتله ويبذلون جهدهم في إقناعه بالنزول على حكم ابن زياد ومبايعة يزيد، فإذا كان الحسين أبى أن يستسلم ليدخل فيما دخل فيه المسلمون وقاوم بالقوة فمقاومته وقتاله من الوجهة الشرعية والوجهة السياسية سائغ.

٢ـ يقول ابن مفلح الحنبلي: جوّز ابن عقيل الخروج على الإمام الغير العادل بدليل خروج الحسين على يزيد لإقامة الحق (مقتل الحسين عليه السلام للمقرم: ٩).

ولولا ثورة الحسين عليه السلام لاستقرت هذه الثقافة الفقهية الأُموية في حياة المسلمين السياسية وقرّت عيون الظالمين بالظلم والإفساد، وأفسد الحكّام المفسدون أحكام هذا الدين وشرائعه وأفسدوا قيم هذه الأُمة وأخلاقها.

فكانت ثورة الحسين عليه السلام رحمة لهذه الأُمة، وضعت أساساً فقهياً قوياً للخروج على الظالم ومقاومته بالسيف إن لم يتراجع عن الظلم والإفساد، ولم يشك فقهاء المسلمون منذ ذلك اليوم في تفسيق يزيد وتكفيره والإشادة بذكر الحسين عليه السلام وجهاده ومقاومته، ورغم انّ هذه الثقافة لا تزال قائمة في كتب الحديث والفقه، لكنها ملغاة في الواقع السياسي والحركي للتاريخ الإسلامي.

ج ـ سياسة الإرهاب والقمع

واتخذ بني اُمية سياسة الإرهاب والقمع (الى جانب التطميع والاغراء بالمال) لإنهاء المعارضة السياسية، وإرغام الناس على قبول بني اُمية والسكوت عن مظالمهم ومفاسدهم والركون إليهم، والوقوف الى جانبهم في كل مظلمة ومفسدة.

وقد شاعت هذه السياسة وعرفت من بني اُمية وبالغ بنو اُمية في تصفية شيعة علي(عليه السلام) في العراق، وبشكل خاص في الكوفة، وتتبعوهم، وحاربوهم في أرزاقهم واستأصلوهم، وأخافوهم وشردوهم وسلبوهم الأمن في دورهم.

يروي ابن أبي الحديد في شرح النهج كلاماً لأبي جعفر الباقر(عليه السلام) عمّا لاقاه شيعة علي أيام بني اُمية من الظلم والإضطهاد والقمع والإرهاب، يقول(عليه السلام): «**ثم لم نزل ـ أهل البيت ـ نستذل ونستضام، ونقصى، ونمتهن ونحرم، ونقتل، ولا نأمن على دمائنا ودماء أوليائنا، ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعاً يتقرّبون به إلى أوليائهم وقضاة السوء وعمّال السوء في كل بلدة، فحدثوهم بالأحاديث الموضوعة المكذوبة، ورووا عنّا ما لم نقله وما لم نفعله، ليبغّضونا إلى الناس، وكان أعظم ذلك وكبره في زمن معاوية بعد موت الحسن(عليه السلام)، فقتلت شيعتنا بكل بلدة، وقطعت الأيدي والأرجل على الظنّة، وكل من يذكر بحبّنا والانقطاع إلينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره. ثم لم يزل البلاء يشتد**

ويزداد إلى زمن عبيدالله بن زياد، قاتل الحسين(عليه السلام)، ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة، وأخذهم بكل ظنّة وتهمة. حتى أن الرجل يقال له زنديق أو كافر أحبّ إليه من أن يقال له شيعة علي(عليه السلام)»[1].

ولعلّ كتاب الغارات الذي وضعه إبراهيم بن محمد الثقفي الكوفي المتوفّى سنة (٢٨٣ هـ) يلقي بعض الضوء على غارات الإبادة والاستئصال التي كان يشنها معاوية على أطراف الحجاز واليمن والعراق لإبادة واستئصال شيعة الإمام ومحبّيه.

روى إبراهيم بن محمد بن سعيد الثقفي في كتاب (الغارات) عن سفيان بن عوف الغامدي قال: دعاني معاوية فقال: إنّي باعثك في جيش كثيف ذي أداة وجلادة، فالزم لي جانب الفرات حتى تمر بهيت فاقطعها، فإن وجدت بها جُنداً فأغر عليهم وإلاّ فامضِ حتى تغير على الأنبار فإن لم تجد بها جُنداً فامض حتى توغل في المدائن... إنّ هذه الغارات يا سفيان على أهل العراق ترعب القلوب، وتفرح كل من له فينا هوى منهم وتدعو إلينا كل من

١ـ شرح النهج لابن أبي الحديد١١: ٤٤ ورواه المجلسي في البحار٤٤: ٦٨.

خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممن ليس هو على مثل رأيك وأخرب كلّما مررت به من القرى وأخرب الأموال فإن خرب الأموال شبيه بالقتل، وهو أوجع للقلب[١].

ونشير هنا الى بعض المجازر التي حصلت على يد خلفاء بني اُمية وعمّالهم في شيعة أهل البيت في الفترة الرهيبة من تاريخ الإسلام.

مجازر بُسر بن أرطأة

بعث معاوية بسر بن أرطأة ـ وكان قاسي القلب سفّاكاً لا رأفة له ولا رحمة، كما يقول الثقفي في الغارات ـ الى اليمن وقال له: (اُقتل شيعة عليّ حيث كانوا)[٢] فأقبل من الشام حتى قدم المدينة (فخطب الناس وشتمهم وتهدّدهم يومئذ، وتوعّدهم وقال: شاهت الوجوه)[٣].

١ـ شرح النهج بتحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم٢: ٨٥ ـ ٨٦، والغارات لإبراهيم بن محمد الثقفي: ٤٦٤ ـ ٤٦٧ ط. طهران بتحقيق السيد جلال الدين المحدث.

٢ـ الغارات للثقفي: ٥٩٨ ط٢. طهران سنة (١٣٩٥ هـ).

٣ـ الغارات: ٦٠٢.

(... ثم شتم الأنصار، فقال: يا معاشر اليهود وأبناء العبيد بني زريق وبني النجّار وبني سالم وبني عبد الأشهل، أما والله لأوقعن بكم وقعة تشفي غليل صدور المؤمنين وآل عثمان. أما والله لأدعنّكم أحاديث كالأُمم السالفة[١] ونزل بُسر فأحرق دار زرارة بن جرول ودار رفاعة بن رافع ودار أبي أيوب الأنصاري[٢].

وعن الوليد بن هشام قال: صعد (بُسر) منبر النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا أهل المدينة اخضبتم لِحاكُم وقتلتم عثمان مخضوباً والله لا أدع في المسجد مخضوباً إلاّ قتلته، ثم قال لأصحابه خذوا بأبواب المسجد وهو يريد أن يستعرضهم، فقام إليه عبد الله بن الزبير وأبو قيس رجل من بني عامر بن لؤي فطلبا إليه حتى كفّ عنهم[٣]، وتوجّه بُسر إلى اليمن وقتل في مسيره ذلك جماعة من شيعة عليّ باليمن[٤].

وقتل ابني عبيد الله بن عباس (عامل أميرالمؤمنين على اليمن)

١ـ الغارات: ٦٠٣.

٢ـ الغارات: ٦٠٣ ـ ٦٠٤.

٣ـ الغارات: ٦٠٧ ـ ٦٠٨.

٤ـ الكامل٣: ٣٨٤.

وهما صغيران[1] فولهت أُمهما وهامت على وجهها وكانت تأتي الموسم وتنشدهما فتقول:

يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما
كالدرتين تشظّى عنهما الصّدف
يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما
مخ العظام فمخي اليوم مزدهف
يا من أحسّ بابنيّ اللذين هما
قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف
نُبِئْت بُسراً وما صدّقت ما زعموا
من افكهم ومن الإثم الذي اقترفوا
انحى على ودجي ابنيّ مرهفة
مشحوذة وكذاك الإثم يقترف
من دلّ والهة حرّى مسلبة
على صبيين ضلاّ إذ مضى السلف

١ـ الاستيعاب بهامش الإصابة في تمييز الصحابة ١: ١٥٥، ط ١. مصر سنة (١٣٢٨ هـ).

ولما قتل بُسر الغلامين بين يدي أُمهما خرج[1] نسوة من بني كنانة فقالت امرأة منهن: هذه الرجال تقتلها فعلام تقتل الولدان؟ والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية ولا في الإسلام. والله إن سلطاناً لا يشتدّ إلاّ بقتل الرضّع الضعيف ورفع الرحمة وقطع الأرحام لسلطان سوء، فقال بُسر: والله لهممت أن أضع فيكنّ السيف. قالت: والله إنّه لأحبّ إليّ[2].

يقول ابن الأثير: فلمّا سمع أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام بقتلهما جزع جزعاً شديداً ودعا على بُسر فقال: اللهمّ اسلبه دينه وعقله، فأصابه ذلك وفقد عقله[3].

وقال ابن عبدالبر في الاستيعاب: وأغار بُسر على همدان وسبى نساءهم فكنّ أوّل مسلمات سُبين في الإسلام[4] وأقمن في السوق[5].

١ـ راجع الغارات: ٦١٣، والاستيعاب بترجمة (بُسر) بهامش الإصابة ١: ١٥٦، والكامل ٣: ٣٨٣ ـ ٣٨٤ وبحار الأنوار الطبعة الحجرية ١٠: ١٣٠.
٢ـ الغارات: ٦١٥ ـ ٦١٦، الكامل ٣: ٣٨٤ باختلاف يسير.
٣ـ الكامل لابن الأثير ٣: ٣٨٥.
٤ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ١٥٧.
٥ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ١٥٨.

وكان أبوذر(رض) يعوذ بالله من أن يدرك زماناً تُسبى فيه النساء المسلمات ويكشف عن سيقانهنّ، فأيهن كانت أعظم ساقاً اشتُريت[1].

مجازر زياد بن أبيه

من دهاة العرب والمعروفين بالقسوة وسفك الدماء استعمله معاوية على البصرة ثم أضاف إليه إمارة الكوفة بعد موت المغيرة بن شعبة فمكّن لمعاوية في العراقين البصرة والكوفة وأحكم قواعد حكم بني أُمية على العراقين بالإرهاب والدم. فكتب الى معاوية: أنه قد ضبط العراقين البصرة والكوفة بيمينه، وشماله فارغة، فأضاف معاوية الى إمارته إمارة الحجاز.

ولما عرف أهل المدينة بأن معاوية قد ولّى زياداً إمارة الحجاز، اجتمع الصغير والكبير بمسجد رسول الله ﷺ وضجّوا إلى الله، ولاذوا بقبر النبي ﷺ ثلاثة أيام لعلمهم بما هو عليه من الظلم والعنف[2]، وقد كان حاقداً على عليّ(عليه السلام) وشيعته أبلغ ما

١ـ الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ١٥٧.

٢ـ مروج الذهب ٣: ٢٦ فهارس يوسف أسعد داغر.

يكون الحقد وقاسياً عليهم يتّبعهم في كل مكان ويسلّط عليهم جلاوزته وعمّاله.

يقول ابن أعثم المتوفى سنة (٣١٤ هـ) في كتاب الفتوح: (وجعل زياد يتتبّع شيعة علي بن أبي طالب فيقتلهم تحت كل حجر ومدر، حتى قتل منهم خلقاً كثيراً، وجعل يقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل أعينهم وجعل أيضاً يغري بهم معاوية، فقتل منهم معاوية جماعة، وفيمن قتل حجر بن عدي الكندي وأصحابه، وبلغ ذلك الحسن بن علي فقال: اللهمّ خذ لنا ولشيعتنا من زياد ابن أبيه، وأرنا فيه نكالاً عاجلاً[1].

ويقول ابن أبي الحديد المتوفى سنة (٦٥٦ هـ): فكان (زياد) يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لأنه كان منهم أيام علي(عليه السلام)[2] فقتلهم تحت كل حجر ومدر، وأخافهم، وقطع الأيدي

١ـ كتاب الفتوح لابن الأعثم ٤: ٢٠٣ ط. حيدر آباد الهند، دائرة المعارف العثمانية سنة (١٣٨١هـ).

٢ـ كان زياد والياً من قبل الإمام على فارس فكتب إليه معاوية يتهدده ويغريه فلمّا قرأ زياد كتابه قام في الناس وقال: العجب كل العجب من ابن آكلة الأكباد ـ أي معاوية ـ ورأس النفاق يخوّفني بقصده إيّاي وبيني وبينه ابنا عم رسول الله في المهاجرين والأنصار. الكامل لابن الأثير ٣: ٤٤٤.

والأرجل، وسمل العيون، وصلبهم على جذوع النخل، وطردهم، وشرّدهم عن العراق، فلم يبق معروف منهم[1].

وهذه الصورة التي يرسمها ابن أعثم من مؤرخي القرن الثالث الهجري وابن أبي الحديد من مؤرخي القرن السابع تكفي لتعطينا صورة واضحة عن الفترة الدموية التي حكم فيها زياد بن أبيه على الحجاز والكوفة والبصرة وما والاهما وبضمنها الريّ وخراسان.

ويروي الطبري قصة من قصص الإرهاب العجيبة في حكم زياد تكشف لنا أبعاد المجازر الرهيبة في أيام زياد وخلاصة هذه القصة: أنّ زياداً لما مات المغيرة وأُنيطت به ولاية الكوفة، جاء إلى الكوفة وصعد المنبر، فخطب في الناس، فَحُصِبَ وهو على المنبر. يقول الطبري: فجلس حتى أمسكوا ثم دعا قوماً من خاصته وأمرهم فأخذوا أبواب المسجد ثم قال: ليأخذ كل رجل منكم جليسه ولا يقولنّ لا أدري مَن جليسي.

ثم أمر بكرسي فوضع له على باب المسجد فدعاهم أربعة

١ـ شرح النهج لابن أبي الحديد١١: ٤٤.

أربعة يحلفون بالله ما منّا من حصبك فمن حلف خلاّه ومن لم يحلف حبسه وعزله حتى صار إلى ثلثين ويقال: بل كانوا ثمانين فقطع أيديهم على المكان[1].

ويقول ابن الأثير: (وكان زياد أوّل من شدّد أمر السلطان، وأكّد الملك لمعاوية وأخذ بالظِنة وعاقب على الشبهة وخافه الناس خوفاً شديداً)[2].

وروى اليعقوبي المتوفى سنة (٢٩٢ هـ) والمسعودي المتوفى سنة (٣٤٦هـ): أن زياداً جمع جمعاً من شيعة الإمام عليه السلام في أُخريات حياته ليعرض عليهم البراءة من الإمام ولعنه فإن لم يتبرأوا ولم يلعنوا قتلهم فعجّل الله تعالى بهلاك الطاغية قبل أن يصل إلى غايته[3].

وأما ابن أبي الحديد المتوفى سنة (٦٥٦ هـ) فقد روى الرواية بالشكل التالي: وأراد زياد أن يعرض أهل الكوفة أجمعين على البراءة من عليّ عليه السلام ولعنه؛ وأن يقتل كل من امتنع من ذلك

١ـ تاريخ الطبري حوادث سنة ٥٠ الجزء السابع١١: ٨٨ طبعة لندن.
٢ـ الكامل لابن الأثير٣: ٤٥٠.
٣ـ اليعقوبي٢: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، المسعودي٣: ٢٦.

ويخرّب منزله فضربه الله ذلك اليوم بالطاعون فمات ـ لا رحمه الله ـ بعد ثلاثة أيام[1].

دور الملحمة الحسينية في احباط المشروع الأُموي

لقد كان لمصرع الحسين عليه السلام وأصحابه أثر الزلزال في نفوس المسلمين يومئذ، فقد هزّهم هذا الحدث المفجع هزّة عنيفة، وأثارت في نفوسهم الحمية والشجاعة والغيرة، وأعادت إليهم الشارد من أنفسهم وإرادتهم التي سلبها عنهم بنو أُمية، واهتزّ الضمير الإسلامي، الذي عطّله بنو أُمية هزّة قوية، وتهاوت أمامهم حواجز الخوف والإرهاب الذي أقامها بنو أُمية واندفعوا للثأر لدماء أهل البيت والإنتقام من القتلة والتكفير عن تخاذلهم عن نصرة ابن بنت رسول الله، فكثر الخارجون على بني أُمية، وتعددت الثورات، وامتدت شعارات: (يا لثارات الحسين) في كثير من هذه الواجهات، وكثر التوابون النادمون على تخلّفهم عن نصرة الحسين وخذلانهم له، عند خروجه على يزيد، وسقطت هيبة بني أُمية في نفوس الناس، ولم تعد سياسة القمع

١ـ شرح النهج ٤: ٥٨.

والإرهاب التي كان يستخدمها بنو أُمية لتطويع الناس كافية في إنهاء المعارضة السياسية، ولم تزل تتسع رقعة هذه المعارضة في التاريخ السياسي الإسلامي منذ ذلك الحين.

ﮊﮋ

٢ ـ إلغاء الشرعية السياسية لخلافة بني أُمية

وهـذه النقطـة نتيجـة سياسـية لثـورة الحسين(عليه السلام) فـي مقابـل النقطة الأُولى (تحريـر إرادة الأُمـة) التـي كانـت نتيجـة حركيـة.. وكلمات الإمام(عليه السلام) من المدينة إلـى كـربلاء إلـى سـاحة الطـف يوم عاشوراء تؤكد إنّ الإمام(عليه السلام) كان يطلب هذه الغاية، ويعمل لإلغاء الشرعية السياسية لبني أُمية في خلافة رسول الله(صلى الله عليه وآله).

وكان الإمام(عليه السلام) يشعر أنّ خطر بني أُمية علـى الإسـلام أكبـر من خطرهم وإسـائتهم إلـى المـسلمين، إذ كـان النـاس يعتقـدون أنّهـم يمثلـون الموقـع الـشرعي الـسياسي لخلافـة رسـول الله(صلى الله عليه وآله). وحينئذ فمهما يمارس بنو أُمية في الأُمة مـن إفساد وإخـلال يـتم بأسم الإسلام، لأنهم يمثلون الموقع الشرعي للخلافـة.. ــ وبـذلك يفقد الإسلام استقامة الوحي ونقاوتـه ـ ولـيس فقـط يـستعيد بنـو أُميـة مـواقعهم التـي كـانوا يتمتعـون بهـا فـي الجاهليـة فـي ظـل الإسلام، وإنّما يردّون الإسـلام إلـى القـيم والأحكـام والأعـراف والأفكـار والتـصورات الجاهليـة، وهـي ردّة كاملـة فـي القـيم

والمواقع.

وقد كان الإمام(عليه السلام) يقول:

«**وعلى الإسلام السلام، إذ قد بليت الأُمة براع مثل يزيـد، ولقد سمعت جدّي رسول الله صـلى الله عليـه وآلـه يقـول: الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان**»[١].

وفي هذه الكلمة يعلن الإمام عن أمرين هما روح هذه الثـورة والتضحية المفجعة التي قام بها الحسين(عليه السلام) وهما:

١ ـ إنّ الإسلام سوف لا يسلم إذا حكمه بنو أُميـة، وسـوف لا يبقون على شيء من الإسلام من قيمه وأحكامه وأعرافه وأفكاره. وسوف تحلّ الأعراف والأفكار والأحكام الجاهلية في الإسـلام، وتكتسب صـفة الإسـلام، ويـشير الإمـام الحسين(عليه السلام) إلـى ذلـك بقولـه: (**وعلى الإسلام السلام**) يعنـي وداعـاً للإسـلام إذا حكـم يزيد المسلمين.

٢ ـ إلغـاء شـرعية خلافـة بنـي أُميـة لأن هـذه الخلافـة سـوف تؤدي إلى الإخـلال والتحريـف فـي روح هـذا الـدين وأحكامـه

١ـ بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٦، العوالم ١٧: ١٧٥.

وقيمه، ولذلك أعلن الحسين عليه السلام إنّ هذه الخلافة غير شرعية وإن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «**الخلافة محرّمة على آل أبي سفيان**».

ولم يكن هذا الإنذار الذي أطلقه الحسين عليه السلام يومئذ، هاجساً وإنّما كان الإمام يلمس هذا الواقع في سني حكم معاوية، ويعرف أن يزيد سوف يواصل منهج معاوية بشكل أبشع وأقبح، وأكثر تجافياً لروح الإسلام ومنهجه.

وقد كان منهج الإمام عليه السلام واضحاً وصريحاً منذ اليوم الأوّل في رفض شرعية البيعة ليزيد وإعلان فسقه وإنحرافه عن الإسلام، ولقد قالها صراحة في الاجتماع الأوّل الذي دُعي إليه من قبل أمير المدينة الوليد بن عتبة:

«**أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة ومحلّ الرحمة، بنا فتح الله، وبنا ختم، ويزيد رجل فاسق شارب خمر، قاتل النفس المحرّمة معلن للفسق، ومثلي لا يبايع مثله**»[1].

وقد حقّق الله تعالى للحسين عليه السلام ما كان يطلب من إلغاء

١ـ الفتوح لابن الأعثم٥: ١٤، وبحار الأنوار٤٤: ٣٢٥.

شرعية الخلافة الأُموية، ليسلم الإسلام من التحريف والتشويه خلال حكم بني أُمية.

ومنذ ذلك الحين أصبحت الخلافة سلطة زمنية كأيّ سلطة أُخرى لا تحمل قيمة إسلامية، ويتعامل معها الناس، كما يتعاملون مع أيّ موقع آخر من مواقع القوة والسلطة غير الشرعية، وكما نتعامل نحن اليوم مع الحكومات الظالمة التي تحكم أقاليم العالم الإسلامي.

وقد كانت الخلافة تتمتع قبل هذا الوقت، وقبل أن يتولّى معاوية الحكم بموقع شرعي، وكان الناس يأخذون دينهم ودنياهم من هذا الموقع، رغم كل المسائل التي حدثت أيام خلافة الخليفة الثالث.

ومن هذا التاريخ نجد ظهور خط آخر في الشارع الإسلامي (السُّنّي) يضع فيه الناس ثقتهم ويستودعونهم دينهم بدل موقع الخلافة، وهو خط الفقهاء، وكان الناس يعرفون مواقع العلماء، ويضعون ثقتهم فيهم على قدر ابتعادهم من جهاز الخلافة.

والذي يقرأ التاريخ الإسلامي يعرف جيداً كيف كان الفقهاء

الصالحون يتهرّبون عن ارتياد بلاط الخليفة واستلام المسؤوليات السياسية، وحتى القضائية، من قبل الخليفة، وكانوا يعلمون أنهم على قدر تقربهم الى الخلفاء يفقدون ثقة الناس واعتمادهم وموقعهم عند الجمهور.

وأما المسلمون الشيعة، فكان ولاؤهم منذ وفاة رسول الله ﷺ لأهل بيت رسول الله، ولم يتغير خطّهم السياسي في الولاء والبراءة منذ وفاة رسول الله إلى اليوم.

إنّ للحسين (عليه السلام) دوراً كبيراً في حفظ الإسلام من التحريف والتشويه الذي جاء به بنو اُمية وحقاً عظيماً على المسلمين شيعة وسنّة.

فلولا عاشوراء ولولا مصرع الحسين (عليه السلام) وأهل بيته وأصحابه بتلك الصورة المفجعة لبقي خلفاء بني اُمية في موقع الشرعية السياسية، وكان للمظالم والمفاسد التي يرتكبونها انعكاس واسع على الإسلام، وأثر تحريفي على هذا الدين، ولم يسلم لنا الإسلام بالشكل الذي نتلقاه اليوم من مصادر الكتاب والسنّة، وقد حدث مثل هذا التحريف في الأديان السابقة بأسباب

مشابهة. وقد شاء الله تعالى أن يسلم هذا الدين بمصرع الحسين. وهو معنى قوله ﷺ: «**حسين مني وأنا من حسين، أحبّ الله من أحبّ حسيناً**»[١].

فقد تغيّر رأي المسلمين في بني اُمية وشرعيتهم، واطلق فقهاء المسلمين وعلماؤهم القول في تفسيق يزيد وشجبه وسلب الثقة من خلافة بني اُمية عامة.

يقول ابن خلدون في المقدمة: (غلط القاضي أبوبكر بن العربي المالكي إذ قال إنّ الحسين قتل بسيف جدّه، وهو غفلة عن اشتراط الإمام العادل في الخلافة الإسلامية. ومن أعدل من الحسين في زمانه وإمامته وعدالته في قتال أهل الآراء).

وذكر الإجماع على فسق يزيد، ومعه لا يكون صالحاً للإمامة[٢].

ويقول ابن مفلح الحنبلي: جوّز ابن عقيل الخروج على الإمام

١ـ صحيح الترمذي٢: ٣٠٧، ورواه البخاري في الأدب المفرد باب معانقة الصبي، ورواه ابن ماجة في باب فضائل أصحاب رسول الله، ورواه المتقي في الكنز٦: ٣٢١.

٢ـ مقدمة ابن خلدون: ٢٥٤ و٢٥٥.

غير العادل بدليل خروج الحسين على يزيد لإقامة الحق.

ويقول ابن الجوزي في يزيد: (ولو قدّرنا صحة خلافته، فقد بدرت منه بوادر، وظهرت منه أُمور كل منها يوجب فسخ ذلك العقد، من نهب المدينة، ورمي الكعبة بالمنجنيق، وقتل الحسين وأهل بيته[1].

ويقول التفتازاني: (لا نتوقف في شأنه (يزيد)، بل في إيمانه، لعنة الله عليه، وعلى أنصاره وأعوانه)[2].

ويقول ابن حزم في (المحلّى): قيام يزيد بن معاوية لغرض دنيا فقط، فلا تأويل له وهو بغي مجرد[3].

ويقول الذهبي في سير أعلام النبلاء: كان يزيد ناصبياً، غليظاً فظاً جلفاً، يتناول المسكر، ويفعل المنكر، افتتح دولته بمقتل الشهيد الحسين عليه السلام، واختتمها بوقعة الحرة، فمقته الناس، ولم يبارك في عمره وخرج عليه غير واحد بعد الحسين كأهل

١ـ مقتل الحسين للمقرّم: ٩.

٢ـ شرح العقائد النسفية: ١٨١ عن مقتل المقرم: ٩.

٣ـ المصدر السابق.

المدينة[1].

ومهما يكن من أمر، فقد تجردت خلافة بني أُمية بعد مصرع الحسين عليه السلام من الشرعية السياسية وقدسية الخلافة النبوية التي كانت تمتلكها الخلافة قبل ذلك، وأصبح الناس يتعاملون معها، كما يتعاملون مع أية سلطة زمنية غير شرعية، وحلّ الفقهاء محل الخلفاء في إدارة شؤون دين الناس، واستمر الأمر على هذا النهج إلى اليوم.

وبعد هذا الشرح الذي طال بعض الشيء، لا نتوقف كثيراً عندما نسأل من المنتصر في كربلاء؟

فلم يكن الحسين عليه السلام يطلب في رحلته إلى العراق فتحاً عسكرياً على الطريقة التي يألفها الناس في الحروب، ولا يمكن ـ على كل الحسابات ـ أن يخفي أمر هذه المواجهة العسكرية على الحسين عليه السلام، ولا يكون الحسين عليه السلام أقل وعياً لظروف العراق والشام من كل أُولئك الذين نصحوه بعدم الخروج، ولم يكن الإمام يتهمهم في نصحهم وصدقهم.

١ـ سير أعلام النبلاء: ٥، ٨٢، ٨٤.

لقد كان الحسين عليه السلام يطلب إثارة الوعي في نفوس الناس، وإحداث هزّة عميقة وقوية في الضمير الإسلامي الذي ركن إلى بني اُمية، وإعادة الحركة والإرادة والعزم، والغيرة على الإسلام والمسلمين إلى نفوس المسلمين، وكسر حاجز الخوف وإسقاط هيبة ورهبة بني اُمية في النفوس وهذه هي الغاية الحركية من ثورة الحسين عليه السلام وقد حققها الله تعالى له في هذه المعركة.

وكانت الغاية الأُخرى سياسية، وتتلخص في تجريد بني اُمية من الشرعية السياسية لئلا تنعكس ممارستهم في الظلم والإفساد على الإسلام، ويسلم الإسلام من الحالات الجاهلية التي حملها معهم بنو اُمية إلى مواقع القوة والحكم في المجتمع الإسلامي يومذاك.

وهذه هي الغاية السياسية، وقد حققّ الله تعالى له النصر والفتح في هذه وتلك، وألحق الله الهزيمة ببني اُمية في كل منهما.

* * *

وكان جواب الإمام علي بن الحسين عليه السلام للسائل دقيقاً عندما قال له: انتظر حتى يحل وقت الصلاة، ويؤذّن الناس ويقيمون لترى من هو الغالب في كربلاء.

الفهرس

بعض الأعداد المطبوعة من سلسلة الثقافة الإسلامية

٣٠ـ الفقه والمعاصرة
٣١ـ دروس من سورة الشرح
٣٢ـ أربعة بصائر في سورة العصر
٣٣ـ شيعة أهل البيت عليهم السلام
٣٤ـ سنّة التعميم
٣٥ـ الفتنة والفرقان
٣٦ـ الاتجاهات والملامح العامة للنظام الإسلامي
٣٧ـ العصم
٣٨ـ الشهادة والشهود
٣٩ـ الدعاء عند أهل البيت عليهم السلام
٤٠ـ دور الليل والنهار في حياة الإنسان
٤١ـ ميراثان في كتاب الله تعالى
٤٢ـ الولاء والبراءة
٤٣ـ نظرية العلاقة الزوجية في القرآن الكريم

٤٤ـ الصراط
٤٥ـ علاقة الإنسان الذاتية في القرآن
٤٦ـ مفردات الولاء والانتماء إلى أهل البيت عليهم السلام
٤٧ـ الإصر والأغلال
٤٨ـ العجب
٤٩ـ الحب الإلهي في أدعية أهل البيت عليهم السلام
٥٠ـ الاستعاذة

من منشورات مجمع أهل البيت عليهم السلام ـ العراق
مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام ـ العراق / النجف الأشرف